« هل توجد كلمة من قِبَل الرب؟ »

تأليف: جيمس ل. ماي

جاءوا بإرميا النبي من السجن استجابة لطلب من الملك صدقيا. مع ان صدقيا لم يكن يرغب في سماعة كلمة الرب، إلا انه كان يريد الاطلاع على ما كان سيقوله النبي بما يختص بمصير يهوذا على أيدي أهل بابل. فسأل الملك صدقيا إرميا قائلاً: « هل توجد كلمة من قبل الرب؟ » (إرميا ٣٧: ١٧). يكون هذا سؤالاً مناسباً دائماً عندما يطلب الشخص أن يخدم الله. ولكن يجب أن نسأل بكل رغبة لنسمع إلى « كلمة من قبل الرب » عما نطلب معرفته، وليس كما فعل الملك صدقيا. أيوجد لله أية توصية لنا عندما نتقدم إليه في العبادة؟

ذكر الفرد قيبس بضع أمثلة عن العبادة من العهدين {القديم والجديد} كنماذج لما تشمله العبادة. بالرسم على بصيرة قيبس لبضع دروس في هذه الدراسة، سنركز على اثنين من هذه الأمثلة: واحد من العهد القديم والآخر من العهد الجديد. لقد تم اختيار هذين بسبب تشابههما البارز، يظهران طريقتين متشابهتين عما يريده الله في العبادة.

إحدى هاتين العبادتين هي العبادة التي قدمها إبرهيم عندما دعاه الله إلى أرض المريا ليقدم إسحق ذبيحة (تكوين ٢٢). العبادة الأخرى هي التي قدمها المجوس الذين جاءوا من المشرق ليسجدوا ليسوع الملك المولود جديد (متى ٢). ليست أية من هاتين العبادتين مثال للعبادة الجماعية، ومع ذلك، تحتوي كل منهما على بصائر في الكيفية التي يعبد بها الناس عندما يتلقون توجيهات محددة وواضحة من الله. هناك ميزات معينة في العبادة الحقيقية بغض النظر عن المكان الذي تتم فيه العبادة.

الميزة الأولى لهذين المثالين عن العبادة هي انهما بدآ بإرشادات الله. لم يكن لإبرهيم سبب للذهاب إلى المريا إن لم يعطه الله توجيهات معينة (تكوين ٢٢: ٢). لما قام المجوس بالرحلة الطويلة إلى بيت لحم حيث ولد يسوع لو لم يعطهم الله نجماً يرشدهم (متى ٢: ٢). نحن لا نعلم التفاصيل في الطريقة التي عرفوا بها كيف يتبعون ذلك النجم أو كيف عرفوا انه كان يقودهم إلى مكان ولادة يسوع. نعلم فقط بان الله استخدم ذلك النجم ليرشدهم. مهما نستخلصه من ذلك النجم، فهذه الحقيقة الواحدة واضحة: كان ذلك النجم يمثل توجيه إلهي.

الميزة الثانية لهذين المثالين هي ان كليهما كانا استجابة الإيمان إلى توجيه الله. شرع إبراهيم في العمل بالوصية من غير سؤال ولا تردد. قام إبرهيم في صباح اليوم التالي باكراً وشد على حماره وقطع حطباً. ثم أيقظ اثنين من عبيده ليذهبا معه، وأخذ إسحق من السرير وتوجه إلى حيث كانت أرض المريا.

لننظر عن كثب في هاتين الميزتين وميزات أخرى للعبادة حسب كلمة الرب.

العبادة موجهة من قبل الله

من بين التوجيهات الأولى التي أعطاها الله للإنسان هي إرشادات عن العبادة (تكوين ٤: ٣–٨؛ عبرانيين ١١: ٤). أول جريمة قتل سببها غضب قايين لأنه أخفق في اتباع توجيهات الله بخصوص العبادة. قصة الكتاب المقدس بكاملها هي وحي مبادرة الله ليوحد الإنسان معه؛ وتظهر كيف استجاب الإنسان لتلك المبادرة. نرى عادة الاستجابة المناسبة معبرة عنها في صيغة إرشاد الله في العبادة. في

الواقع يحتوي كل سفر تقريباً من أسفار الكتاب المقدس على معلومة عن العبادة أو إرشاد لها.

لا ينبغي أن تكون التقاليد أو التفضيل الشخصي مرشدنا، ولا يجب أن يرشدنا كل ما يجعلنا نشعر بالطيب. لم يخبرنا الله أبداً عن الكيفية التي يجب أن نشعر بها. لقد أخبرنا كيف يجب أن نتعامل. الشعور ليس دلالة جيدة لما يجب أن يحدث اثناء العبادة. يختلف الشعور إختلافاً كبيراً من شخص إلى آخر. ما يطرب شخص ما قد ينفر شخص آخر. يتبع الشعور العمل الموجه من قبل الله. العبادة ليست مجرد بلوغ الاحساس ذروته. ولا هي مجرد نشاط عقلي. العبادة الحقيقية تصل إلى وجهات كينونتنا (الجسد والنفس والروح). انها تجذبنا وتحمل كل كياننا إلى حضرة الإله القدير حيث ننعم في نور مجده المشع.

تنشأ العبادة من قلب مطيع

تم تدوين سفر اللاويين لاعطاء إرشادات للكهنة في خدماتهم اليومية نيابة عن شعب الله القدوس. لقد تم وضع تشديد عظيم على دوامة قداسة الكهنة عندما يتوسطون بين شعب آثم وبين الله. ان سفر اللاويين ليس سهل القراءة ولا يرغب معظم الناس في قراءته. بالنسبة للقارئ العادي قد يبدو هذا السفر من العهد القديم غير ملائم ولا صلة له مع الناس اليوم؛ ولكن ما يقوله سفر اللاويين هو في مركز المكان الذي يجب أن يكون فيه شعب الله في أي جيل. هذا السفر يتحدث عن الاقتراب إلى الله، الصلة مع الله، المحافظة على حضور مقدس مع الله. الاقتراب إلى الله أمراً خطيراً، وهو أعظم إمتياز منح للإنسان. لا يجب أن نقترب إليه باستخفاف، ولا يجب أن نفعل ذلك بطريقتنا الخاصة.

في وسط القوانين المفصلة واللوائح الكهنوتية تحدث الله في اسهاب عن الكيفية التي كان يجب أن يبدأ بها الكهنة نهارهم (لاويين ٩: ٨-٢٤). عند نهاية تقديم الذبائح المختلفة في اليوم «خرجت نار من عند الرب وأحرقت على المذبح المحرقة والشحم. فرأى جميع الشعب وهتفوا وسقطوا على وجوههم» (لاويين ٩: ٢٤). ما جاء بعد ذلك قد حوّل يوم الفرح والاحتفال إلى حزن. وردت القصة في آيتين فقط، ولكن تحذيرها القوي لم يُنسى حالاً. حاول ناداب وأبيهو ابني هرون الكاهنان واللذين ساعدا هرون في كل ذبائح اليوم أن يقتربا إلى الله بتقدمة ليست حسب إرشاد الله (لاويين ١٠: ١ و٢). النار نفسها التي خرجت من عند الله لتلتهم الذبيحة التي كانت على المذبح التهمت ناداب وبيهو «فماتا أمام الرب». النار التي قدماها كانت «غريبة». كان الله قد أعطاهم إرشادات معينة عن النار لتستخدم عند عبادته. ولكنهما لم يتبعا الإرشادات. قال أحد المعلقين: «كان ذينك الكاهنين الجديدين قد فعلا ما لم يأمر الله به مهما كانت نواياهما حسنة، وعند القيام بذلك فعلا ما منعه الله». وقال آخر: «كان الله يعطي بياناً قوياً لإسرائيل ولكل الأجيال القادمة بانه يطالب {الناس} أن يعبدوه حسب شروطه هو». لقد عمل هذين الرجلين بغطرسة. من السهل عمل ذلك. قد نتصرف بالتكبر ونظن باننا نعمل بالضبط ما يريده الله. الحقيقة الواقعية هي إذا انه عندما يتكلم الله فعلينا أن نصغي. تكون العبادة فعالة فقط عندما تكون استجابة الطاعة لوحي إلهي.

مع ان العبادة أكثر من مجرد شكل، لا ينبغي ان نتناسى بان الله قد أعطى إرشادات معينة يجب أن نتبعها. اختبار إسرائيل مع تابوت العهد يعطينا مثالاً توضيحياً جيداً لهذه الحقيقة. أُستخدمت المسكن والمواد التي بها في العبادة. والشيء الوحيد الذي دَلَّ على حضور الله في أغلب الاحيان هو تابوت العهد. سكن الله بين الكروبين اللذين فوق الغطاء {كرسي الرحمة}[1] الذي على التابوت. عندما كان

[1] يسمى الغطاء الذي من الذهب النقي الموضوع على تابوت العهد بكرسي الرحمة (خروج ٢٥: ١٧) أنظر الكتاب المقدس ترجمة «كتاب الحياة».

عالي كاهناً استولى الفلسطينيون على التابوت؛ ولكنهم أعادوه سريعاً إلى مكانه، لأنهم حيثما وضعوا التابوت هناك تقع اللعنة على الفلسطينيين، بقى التابوت مع الفلسطينيين لمدة سبعة أشهر فقط. وإذ لم يكن يعرفون كيف يرجعونه إلى إسرائيل، قرر كهنة الفلسطينيين والعرافين بناء عجلة {أي عربة}[٢] وعلى هذه العجلة يضعون التابوت مع عطايا من الذهب. وخططوا أن يربطوا العجلة إلى بقرتين مرضعتين لم يعلهما نير ويأخذوا عجليهما عنهما. وعندما يُحل رباط البقرتين فانهما تعودان بالطبع إلى عجليهما. سبق الفلسطينيون فقرروا أنه إذا اتجهت البقرتان في طريق إلى بيتشمس يكون ذلك علامة بان الله هو الذي فعل بهم ذلك الشر وإلا فيدركون بانهم لم يكونوا ملعونين بل كان ذلك صدفة فقط. اتجهت البقرتان باستقامة إلى بيتشمس. ومن هناك أُخذ التابوت إلى بيت أبيناداب في قرية يعاريم لمدة عشرين سنة (أنظر صموئيل الأول ٥: ١-٧: ٢).

عندما صار داود ملكاً حثته رغبته في حضور الله أن يأتي بتابوت العهد إلى أورشليم. فتاشور مع ضباطه والقادة. واتفقوا انه يجب ان يكون التابوت في أورشليم، لأنهم لم يتقدموا إلى الله في المكان الذي أسسه لاسمه لوقت طويل. وكما فعل الفلسطينيون قبل عشرين سنة هكذا أيضاً وضع الإسرائيليون التابوت على عجلة أُخرى قادها عُزّة وأخُيو. خرجوا وساروا باحتفال عظيم يغنون ويعزفون الآلات الموسيقية. وعندما بلغوا بيدر ناخون تعثرت الثيران التي تجر العجلة. يبدو ان عُزّة قد ظن أن التابوت كان على وشك السقوط من على العجلة فأمسك بالتابوت ليثبته في مكانه، ولكنه مات حالاً أمام الرب (صموئيل الثاني ٦: ١-١٠؛ أخبار الأيام الأول ١٣: ١-١٠). يقول السجل الذي ورد بسفر صموئيل الثاني: « ... وضربه الله هناك لأجل غفله... » (٦: ٧).

كان الإسرائيليين قد استشاروا ضباطهم وقادتهم، ولكن لم يستشر داود ولا مساعدوه الرب. كانت المناسبة كلها غفلة – ليس انهم كانوا غير أمناء، بل لأنهم عملوا عكس إرادة الله عندما حاولوا تحريك التابوت. كان داود غاضباً وخائفاً؛ لم يعلم كيف ينقل التابوت إلى أورشليم، فتركوه في بيت عوبيد أدوم ثلاثة أشهر.

لم يحاول داود مرة أخرى أن يأتي بالتابوت إلى أورشليم إلا بعد ما سمع أن الرب قد بارك بيت عوبيد أدوم. ويبدو في هذه المرة أنه بحث عن الاسلوب الصحيح لينقل به التابوت. لقد أدرك بان المآساة قد حدثت لأن الكهنة لم يحملوه في المرة الأولى لأنهم لم يسألوا الله كيف يريد أن يُنْقَل التابوت (أخبار الأيام الأول ١٥: ١٣). لقد علم أن اللاويين فقط هم الذين يجب ان يحملوا التابوت: « ... لأن الرب إنما اختارهم لحمل تابوت الله ولخدمته إلى الأبد » (أخبار الأيام الأول ١٥: ٢).

جمع داود الإسرائيليين مرة أخرى ليحتفل بهذه المناسبة. ولكن في هذه المرة دعى ٨٦٢ من أحفاد هرون لمساعدته. ودعى الكهنة وقال لهم: « أنتم رؤوس آباء اللاويين فتقدسوا أنتم وإخوتكم وأصعدوا تابوت الرب إله إسرائيل إلى حيث أُعددت له » (أخبار الأيام الأولى ١٥: ١٢). في هذه المرة نجح نقل التابوت لأن بني اللاويين هم الذين حملوا التابوت بالعصى على أكتافهم « كما أمر موسى حسب كلام الرب » (أخبار الأيام الأول ١٥: ١٥). إن كنا مثل داود نشتاق ان نكون في حضرة الله، سنتعلم كثيراً من طريقة داود المخلصة ولكن غير الصحيحة في الاقتراب إلى عرش الله.

ترتكز العبادة على الله

لا يشك دارس الكتاب المقدس بان الله هو المعبود. لله وحده يجب ان نقدم « ذبيحة التسبيح » و« ثمر شفاه معترفة باسمه » (عبرانيين ١٣: ١٥). العبادة هي جوهرنا نحن كشعب الله. طلب الارشاد منه قد تكون عملية صعبة جداً للذين يعيشون في عالم تتسيد عليه فلسفة « أفعل ما يرضيك ». نميل إلى التفكير

[٢] أنظر الكتاب المقدس ترجمة « كتاب الحياة ».

في الطرق التي تجذب أكبر عدد من الناس وتجعلهم يعودون إلينا مرة أخرى. قد نظن أن وجود عدد كبير من المستمعين يؤدي إلى المزيد من العبادة المثيرة. قد نميل إلى التفكير في الشيء الذي يعطي الذين يقودون العبادة فرصة ليمارسوا مواهبهم المعطاة من قبل الله. عندما نبدأ التفكير بهذه الطريقة نبدأ بالابتعاد من محور العبادة. وإذا فقدنا التركيز على محور العبادة يؤدي هذا إلى عبادة سطحية أقل بنياناً من الناحية الروحية. ومثل هذه العبادة تروق للجسد عوضاً عن الروح. ليست للشهوة الجسدية مكاناً أمام عرش الله إلا إذا كانت تضحية لقداسة الله. إذا كان ما نقوم به أثناء العبادة يروق للجسد فهذا يعني اننا لا نعبد. «الذات بكل أشكاله المختلفة سيحاول دائماً ان يتقدم إلى حضرة الله».

عادة ما يرتفع صوت العصرية على صوت الله. متطلبات الوسط الاجتماعي تهيمن على متطلبات الله. قال دڤيد ولاس:

> «تقدم العصرية نظام قيَمْ متشابك غزى نفس كل شخص ورسخ فيهَ. العصرية هي جديدة في قوتها لخلق شهوات الإنسان من جديد، وطريقة تفكيره وما يقيّمه. هو وضع الأشياء الدنيوية لزماننا الحاضر في صيغ الكتاب المقدس».

بينما يصمم الله العبادة الحقيقية لتشبع العابد، إلا انه توجد مشكلة متأصلة ذات علاقة بفكرة إشباع النفس. الصيغة اللاهوتية لهذه المشكلة هي «المركزيبشرية anthropocentrism» هذه الكلمة التي تعني ان «الإنسان هو حقيقة الكون المركزية» تنعكس الجزء الذي فينا يصعب له الاستماع إلى الله، ويريد أن يخضع للجسد. لا يجد الجسد إشباع أمام عرش الله.

عندما تُقام العبادة، يملأ الله كأس العابد كما يشبع الجياع والعطاش إلى البر (متى ٥: ٦). الاشباع من قبل الله ليس مثل انغماس الشهوات الشخصية للتسلية تحت ستار العبادة. يجب أن تفي العبادة بحاجات الإنسان، ولكن ليس على المستوى الظاهري للخبرة الجسدية أو العاطفية. العبادة الحقيقية ليست حفلة موسيقية أو عمل لإثارة المشاركين في نوبة عاطفية. بل تشمل على تسبيح روحي لمجد وإكرام مخلصنا والله الذي بدوره يملأ العابد بقوته وبحضوره. العبادة لا تدور حول تعظيم النفس والطموحات الشخصية، بل هي عن التخلي عن الذات. ليست العبادة لتشجيع الاحساس بالقيمة الشخصية والاحترام الشخصي، بل هي الاعتراف بالله انه الوحيد المستحق التمجيد والتعظيم.

عندما يكون الله مركز اهتمامنا، نكون في مركز اهتمام الله. عندما نتضع يعظمنا الله (يعقوب ٤: ١٠). نحن لا نعبد الله لكي يجعل الأشياء الجميلة تحدث إلينا، ولا عبادتنا لله تلزمه ليحمينا من حدوث شيء «سوء» لنا. بل نعبد الله لأنه هو الله.

اعتبر ويندل ويليز ان العبادة تتم في ثلاث مراحل. المرحلة الأولى اسماها «خبرة جميلة» وهي الشعور بالرهبة. هذه هي المرحلة التي نجد فيها أكثر صعوبة لنكران الذات والسماح لإرادة الله. هذا النوع من العبادة بها «احساس حلو»؛ وتروق لمفهومنا الشخصي للجمال والعظمة. والمرحلة الثانية اسماها ويليز بـ«المرحلة الاخلاقية» في هذه المرحلة تقديرنا لله يحركنا نحو استجابة فعالة. المرحلة الثالثة التي وصفها ويليز هي المرحلة «الدينية» عند هذه المرحلة ندرك أن الله قد بادر ليظهر لنا ذاته وهدفه لنا. الادراك يتطلب الاستجابة التي تعترف بقدرته. مثل هذا الادراك يأتي فقط عن طريق الاستماع إلى الله والاستجابة له بطريقة تتماشى وكلمته.

الخلاصة

حتى وإن اعتبر بعض الناس الكتاب المقدس بانه عتيق وقد عفى عليه الزمن، إلا انه ينبغي أن تبقى كلمة الله السلطان في ما نفعل عند العبادة. يجب ان تحكم كلمته على سلوكنا، بغض النظر عن بيئتنا الثقافية أو آراء الجمهور. يجب أن تكون العبادة منهضة ومبنية بالنسبة للعابد. (راجع ١ كورنثوس

١٤: ٣-٥ ، ١٢ ، ١٧ ، ٢٦ ، ٣١). ولكن العبادة التي تنهض المؤمنين المأمنين في الرب قد تبدو مضجرة وغير وثيقة الصلة مع الذين لا يعرفون الله. عندما يضع شعب الله العبادة التي يرشدها الله بكلمته في مركز حياتهم، تنسكب بركات الله في وسطهم. إذا كان هناك أي شيء يجذب غير المؤمنين حقاً إلى حضرة الله هو مشاهدة حدوث هذا. من إحدى الأسباب التي يجب أن تجعل عبادتنا مركزة على الله وتعكس تعاليم كلمته هو لكي تبكت الكلمة غير المؤمنين الذين قد يأتون إلى خدمة العبادة ويؤمنوا حقاً بان الله بيننا (١ كورنثوس ١٤: ٢٤ و٢٥).

عبارة قالها رون كارلسون تلخص هذا الدرس: «إذا كان علينا أن نحافظ على تقاليدنا المسيحية ينبغي أن نركز مرة أخرى على كلمة الله حتى ولو كان ذلك يعني تثبيت النزعات الحالية ...».

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٧